القدس في أدب الكاتبة المغربية خناتة بنونة

عبد الرحمن مغربي

أكاديمي/ مدرس في جامعة القدس المفتوحة

abdalrahman.mughrabi.2026@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/١٢/٠٧م تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٩/٠٩م تاريخ النشر: ٢٠٢٥/١٢/٢٠م (العدد (٢٩)، شتاء ٢٠٢٦م)

الملخص

تعاني فلسطين بأسرها ظلم معاول التشويه والحرب النفسية، ومحاولات وأد الهوية الوطنية والتاريخية، بالرغم من صمود أهلها؛ فالكيان الصهيوني يريد أن يشطب عشرات القرون من التاريخ والتراث والحضارة، ويقتلع شعب بكامله من أرضه ويحرمه من ممارسة حقه في تقرير المصير، ويعمل جاهدًا على إبقاء الشعب الفلسطيني مشردًا خارج وطنه أو أسيرًا في ظل الاحتلال.

في المغرب، مفهوم متفق عليه، القضية الفلسطينية قضية وطنية مثل قضية الديمقراطية والتنمية والتحديث والصحراء، وأحد أعمدة مكونات الهوية المغربية، فهي ليست قضية تضامن، أو قضية مواقف تأييد، تنتهي بانتهاء الحدث، ولا يمكن الحديث عن المغرب قديمه وحديثه، نخبه ومواطنيه، دون الحديث عن فلسطين وهمومها ومعاناتها.. فلسطين كانت وما تزال موردًا من موارد الثقافة والإبداع والأدب في هذا القطر العربي الشقيق.

وإذا كانت الجغرافيا قد حرمت فلسطين من الجوار، يبقى بين المغرب وفلسطين لغة ودين وتراث حضاري ونسب أصيلٌ ممهورٌ بدماء آلاف الشهداء

المغاربة الذين أراقوا أرواحهم الطاهرة على أرض فلسطين، يشهد على ذلك التاريخ في أن المغرب لم يغادر مربع الدفاع عن فلسطين إبان الحقب المتعاقبة، منذ فترة الاحتلال الصليبي وإلى اليوم.

سنقدم في هذه الدراسة أنموذجًا حيًّا من مشاركة النخب النسوية المغربية في معركة الدفاع عن فلسطين وعروبتها، ونستعرض بشيء من التفصيل للأديبة المغربية خناتة بنونة التي قدمت رواية «ليسقط الصمت» عن القدس، ورواية النار والاختيار، وأرسل لها الشهيد ياسر عرفات الشاعر الفلسطيني خالد أبو خالد؛ شاعر فلسطيني من بلدة سيلة الظهر قرب نابلس، ليقلدها وسام منظمة التحرير الفلسطينية كما حصلت على جائزة القدس عام ٢٠١٣م، وتبرعت بها لبيت مال القدس دعمًا لصمود المدينة وسكانها (صحيفة الحياة الجديدة «فلسطين»، ١٤/ ٨/ ٢٠١٣م؛ أمديون، ٢٠١٤م؛ حمزاوي، ٢٠١٤م ج).

مدخل عام

لن يكون حديثي عن النخب المغربية بشكل واسع.. فلقد سبقني إلى ذلك باحثون كثر، عام ٢٠١٥م مبدعون وصحفيون وفاعلون ثقافيون» نخب مغربية» سطروا شهاداتهم حول فلسطين كأرض وقضية وثقافة وذاكرة حية ومستمرة في كتاب بعنوان «**فلسطين.. ذاكرة مغربية**»، صدر بمناسبة حلول فلسطين ضيف شرف على المعرض الدولي للنشر والكتاب في مدينة الدار البيضاء.

لقد استكتبت وزارة الثقافة المغربية أكثر من (٨٠) من النخب وشهاداتهم عن فلسطين في السفر القيم: فلسطين ذاكرة مغربية، وقام بدراسته وتحليله، أعطاه بعدًا حيًّا الزميل المغربي محمد بن يحيى (بن يحيى، ٢٠١٧)، كما جرى الحديث عن النخب المغربية التي قدمت لفلسطين ودافعت عنها، واستشهدت في سبيلها في شهرية الملتقى التي صدرت بدعم من وزارة الثقافة المغربية العدد (٣٣) عام ٢٠١٥م،

ولا ننسى المفكر المغربي عبد الإله بلقزيز الذي تحدث عن هذه النخب في كتابه «**الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية**» (بلقزيز، وآخرون، ١٩٩٢)، وهنا، أعتقد أنني لم أتي بجديد.. كما أن خوفي من التحيز منعني من ذكر أسماء هذه النخب خوفًا من نسيان أحد منهم، على أننا ومن خلال عملنا مع المندوبية السامية على مدار عام كامل وأكثر.. كتبنا عن عدد من هذه النخب بتعمق، وحللنا إبداعاتها ونضالاتها من أجل فلسطين.

وخلال بحثي في العلاقات بين الشعبين الشقيقين، استوقفني دور المرأة المغربية التي تبرعت بحليّها لدعم المجهود الحربي في فلسطين.. ودور المناضلة والكاتبة والشاعرة والطبية التي ناضلت وقدمت إلى فلسطين والتي لم تهرب من جروح القضية الفلسطينية.. وفي ذلك مثال حيّ على أن الأم والزوجة التي تصنع التاريخ. نقول لأنفسنا عندما يخالجنا شعور بالضعف والألم من بعض المواقف خارج الإطار المغربي: إن لنا في المغرب سندًا وأهلًا.

وقد استعرضت في مقدمة دراستي هذه النخب النسوية في المغرب ودورها في النضال من أجل فلسطين، وخصصت القسم الثاني منها للحديث عن: أنموذج مشرق للنخبة النسوية المغربية، وهي: الأديبة خناتة بنونة، والتي قدمت أنموذجًا مشرقًا للمرأة المغربية ونضالها من أجل فلسطين.

في نضال المرأة المغربية، كانت نادية برادلي التي انتمت إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بصدد القيام بعملية في تل ابيب وألقي عليها القبض من قبل قوات الاحتلال عام ١٩٧١م، وحكمت بالسجن (١٠) سنوات، وافرج عنها لتدهور حالتها الصحية بعد (٣) سنوات، وشقيقتها غيثة التي قضت (٥) سنوات في سجون الاحتلال، و**الشهيدة رقية الراضي** خريجة الحقوق من جامعة الملك محمد الخامس بالرباط، التي استشهدت على أرض غزة من جراء القصف الصهيوني (المنصوري، شهداء المغرب في فلسطين، ص: ١٧٦-١٧٧؛ أباظة والمالح، ١٩٩٩، ص: ٤٩٧).

الشـاعرة المغربيـة «ثريـا إقبـال» والمترجمـة والباحثـة في التصـوف الإسـلامي ، تقـول عـن القـدس: (...) كيـف أكتـب تاريـخ أعـرق بقعـة عمرهـا الإنسـان وأغـلى إرث روحـي طالـه العـدون.. كونـي بخـير يـا فلسـطين نكـن، وتقـدم «**جميلـة المصـلي» الباحثـة في قضايـا المـرأة والأسرة**، والتـي شـغلت منصـب نائبـة برلمانيـة لثـلاث ولايـات متتاليـة عـن حـزب العدالـة والتنميـة، والمنتدبـة في التعليـم العـالي المغربـي شـهادتها عـن فلسـطين فتقـول: إن التحـدي الأسـاس هـو إبقـاء القضيـة حيـة في الوجـدان العربـي باعتبارهـا الجـرح الغائـر في جسـد الأمـة، و**الناقـدة «زهـور كـرام»**: الروائيـة والأكاديمية المغربية وأسـتاذة التعليـم العالي بجامعـة ابـن طفيـل بالقنيطـرة، تقـول: إن فلسـطين كانـت مرجـع النضـال ومنبـع الوعـي.. فلسـطين كانـت تختـزل كل القيـم التـي تـروض الواقـع المختـل.

أمـا «**فاطمـة الزهـراء الرغيـوي**» التـي سـطرت رسـائل مشـتركة تخـترق الحدود مـع الكاتبـة الفلسـطينية أحـلام بشـارات، والتـي لـم يسـمح لفاطمـة بدخـول فلسـطين بسـبب الاحتـلال تقـول: فلسـطين.. تعلمـت أن ارسـمها في الخارطـة.. فلسـطين، حـين يمـارس العقـاب الجماعـي.. الـتراب الـذي يـزداد قدسـية.. كلمـا تلقـى رصاصـة جديـدة، وكلمـا شـقته قنبلـة باحثـة عـن طفـل يحلـم.

والمستشـارة البرلمانيـة المغربيـة ورئيسـة مجموعـة الصداقـة والتعـاون المغربيـة – الفلسـطينية «فاطمـة الزهـراء اليحيـاوي»، تؤكـد أن دعـم المـرأة الفلسـطينية ونضالاتها يقـف عـلى رأس سـلم أولويـات الحركـة النسـوية المغربيـة بمختلـف مكوناتهـا، وأن مواجهـة مـا تعانيـه المـرأة الفلسـطينية بفعـل الاحتـلال والظـروف السياسـية والاقتصاديـة الصعبـة وتوفـير كل عوامـل الدعـم والإسـناد لهـا، إنمـا يشـكل مهمـة رئيسـة لـن يكتمـل نشـاط المـرأة المغربيـة إلى عنـد القيـام بهـا عـلى أكمـل وجـه.

أسماء عديدة قدمت وتحدثت عن فلسطين

ليـلى المليـس التي أكـدت في حبهـا لفلسـطين وعاصمتهـا الأبديـة القـدس، و**نجاة**

الكاضي و**فتيحة بن قاسم**، و**ابتسام حوسني**، و**دولت بيروكي**، والشاعرة **أمل برادة**، و**لطيفة الكندوز**، و**مالكة العاصمي**، و**إيمان الخطابي**، و**لبنى المانوزي**، و**ربيعة ريحان**، و**رشيدة بنمسعود**، و**ثريا وقاص**، و**أحلام لقليده**، و**فريدة العاطفي**، و**كنزة بوعافية**، و**ثريا ماجدولين**، و**فاطمة الزهراء بنيس**، و**أمينة الزعري**، أكدوا حبهم الأبدي لفلسطين أرضًا وشعبًا (بن يحيى، ٢٠١٧؛ وكالة وطن للأنباء، ٢٠١٧).

خناتة بنونة والقدس

خناتة بنونة الكاتبة المغربية والممثلة السامية لقضية فلسطين أرضًا وشعبًا في المغرب، والابنة الروحية لزعيم حزب الاستقلال الراحل (علال الفاسي)، الذي ساندها وشجعها ووقف إلى جانبها في دروب حياتها، وفي مشوارها الأدبي. رأت النور عام ١٩٤٠م في مدينة فاس لأسرة محافظة ومناضلة كذلك، ولطالما تكلمت بفخر عن والدها الراحل، وتقول:

«لقد تخرجت من جامعة الحاج أحمد بنونة..الرجل الأُمي الذي لا يكتب اسمه، ولكنه كان مدرسة معرفية منذ الطفولة المبكرة حتى آخر يوم في حياته».

كانت بنونة في صغرها تلميذة مجتهدة، ذات أخلاق عالية، تشهد بذلك نتائجها الدراسية بثانوية (أم البنين) بمدينة فاس، قبل أن يقودها تفوقها الدراسي إلى الانخراط في سلك التعليم كمعلمة بمدرسة (باب الحديد) في مدينة فاس، ثم كمديرة لثانوية (ولادة) في الدار البيضاء أواخر عام ١٩٦٨م، حيث تخرجت على يديها أجيال من طلاب العلم المغاربة، حتى صاروا اليوم أمام ناظريها أساتذة وأطباء وقضاة ، ومبدعين في شتى التخصصات العلمية.

هي أول كاتبة تنال عضوية اتحاد كتاب المغرب، وأول إعلامية تطلق مجلة ثقافية نسائية بالمغرب، تحت اسم (شروق)، نشرت قصصها في صحيفة (العَلم) قبل أن تصدر مجموعتها القصصية الأولى (**ليسقط الصمت**)،

عـام ١٩٦٧م، عـن دار الكتـاب بالـدار البيضـاء، وهـي المجموعـة التـي تركـت أثـرًا قويًّـا في السـاحة الثقافيـة المغربيـة، واعتـبرت حدثًـا غـير عـادي في تاريـخ الكتابـة المغربيـة المعـاصرة، ولاقـت رواجًـا لـدى القـارئ المغربـي، باعـت مجوهراتهـا لتنـشر عـلى نفقتهـا الخاصـة، وكانـت تقـول عـن هـذه المجموعـة : « أول قصـة قوميـة كتبتهـا وأنـا بفلسـطين عـن صبيـة مقدسـية تعانـي مـن قمـع الاحتـلال».

تبعتهـا «**النـار والاختيـار**» سـنة ١٩٦٩، كتبتهـا في أربعـة أيـام، بعـد شـهور مـن هزيمـة ١٩٦٧م، حصلـت مـن خلالهـا عـلى جائـزة المغـرب للكتـاب عـام ١٩٧٠م، وتبرعـت بقيمـة الجائـزة لمنظمـة التحريـر الفلسـطينية محبـة منهـا ودعمًـا لفلسـطين والقضيـة الفلسـطينية، ومـن ثـم قـررت وزارة التربيـة الوطنيـة بالمغـرب تدريـس هـذه الروايـة بجميـع ثانويـات المغـرب لسـنوات عـدة، والزعيـم عـلال الفـاسي مـن قـام بتمويـل طبعهـا، كُـتبت عـدة مقـالات نقديـة وتحليليـة عـن هـذه المجموعـة القصصيـة في معظـم مجـلات العـرب، ودارت حولهـا عـدة أطروحات جامعيـة.

دعمـت بنونـة قضايـا عـدد مـن الشـعوب المظلومـة في العالـم الإسـلامي، مـن البوسـنة والشيشـان إلى أفغانسـتان وإلى اللاجئـين الصوماليـين.

أصـدر اتحـاد كتـاب المغـرب بالتعـاون مـع دار الطبـع العمانيـة كتابًـا بعنـوان (**خناتـة بنونـة: في المرايـا المنعكسـة**) تضمّـن مجموعـة مـن الدراسـات والقـراءات، وشـهادات مجموعـة مـن كبـار الكتـاب والأدبـاء والنقـاد مـن المغـرب وخارجـه عـن تجربتهـا الأدبيـة.

والنتـاج الروائـي لخناتـة: (**ليسـقط الصمـت**) مجموعـة قصصيـة ١٩٦٧م، (**النـار والاختيـار**) مجموعـة قصصيـة ١٩٦٩، (**الغـد والغضـب**) ١٩٨٤، (**الصـورة والصـوت**) مجموعـة قصصيـة ١٩٧٥، (**العاصفـة**) مجموعـة قصصيـة ١٩٧٩، (**الصمـت الناطـق**) مجموعـة قصصيـة ١٩٨٧، (**الأعمـال الكاملـة**) ٢٠٠٨م،

وحصلت على جائزة الكتاب المغربي عن راوية (**النار والاختيار**) ١٩٧٠م، وعلى جائزة القدس لسنة ٢٠١٣ (صحيفة الشرق الأوسط،٢ ابريل ٢٠٠٣، ١٩٨٨؛ عبد المنير، ٢٠١٦)تفاعلت أعمالها الإبداعية بقوة مع القضية الفلسطينية التي شكلت نقطة مركزية في كتاباتها الأدبية، لتسطر صوت المغرب تجاه قضية فلسطين، حيث تمتزج بالمعاناة الفلسطينية وتقول: مشاهدة معاناة الفلسطينيين حركت كياني تجاه هذه القضية، في أعقاب رحلة الحج التي كان قد أخذني إليها والدي قبل أحداث ١٩٦٧م بقليل. وبالمناسبة زرنا القدس الشريف، ومدنًا أخرى، وهناك رأيت كيف أن الإنسان الفلسطيني مشتت في خيام ممزقة تعبث بها الرمال، هذه الأحداث رسخت لديّ قناعة بأن هناك محاولة لإبادة شعب بأكمله، وإبادة تاريخ وحضارة وهوية، وعلى خلفية مشاهداتي ومعايشتي لهذا الواقع في بيت صفافا التي أُبيدت في حرب ١٩٤٨م، كتبت أول مجموعة قصصية لي بعنوان (**ليسقط الصمت**).

وبيت صفافا هي قرية فلسطينية تقع على بعد (٦) كم جنوب غرب مدينة القدس، وعرفت البلدة إعلاميًّا على نطاق واسع، عندما تعرضت لمأساة مروعة في عام ١٩٤٩م، عندما تم تقسيم البلدة في اتفاق وقف إطلاق النار بين العصابات الصهيونية والحكومة الأردنية، وفصل بين جانبي البلدة بسياج، ووقع القسم الغربي من البلدة تحت سيطرة الكيان الصهيوني، والقسم الشرقي تحت سيطرة الحكومة الأردنية، حتى عام ١٩٦٧م، عندما احتل الكيان ما تبقى من الأراضي الفلسطينية، كانت القرية أنموذجًا مشرقًا لمقاومة المحتلين حيث وقف شبابها كتلة واحدة في وجه الصهاينة، وأشاد بأهل القرية المناضل الكبير عبد الله التل قائد منطقة القدس، حيث واجه سكان القرية العصابات الصهيونية بكل قوة وصمدوا في مواقعهم، واستشهد عدد كبير منهم (الدباغ، ١٩٩١، ج٨، ص: ١٧٢- ١٧٣؛ التل، ١٩٩١، ص: ١٧٢).

فازت الأديبة بنونة عام ٢٠١٣م بجائزة القدس الذي ينظمها اتحاد الكتاب

العـرب، وتبرعـت بقيمتهـا الماديـة لـــ «بيـت مـال القـدس»، وقالـت:» مـال القـدس يرجـع إلى القـدس»، واسـتلمت الجائـزة مـن السـيد (هيثـم بـن طـارق بـن تيمـور) وزيـر الـتراث والثقافـة بسـلطنة عُمـان في مؤتمـر سـنوي لاتحـاد الكتـاب العـرب الـذي عقـد في مسـقط، وفي نفـس المنصة أعلنـت أنهـا سـتقدم قيمتهـا الماديـة لمؤسسـة «بيـت مـال القـدس» رن التصفيـق والاستحسـان في القاعـة، وأكـد جميـع مـن شـارك في الحفلـة أن الجائـزة قدمـت إلى شـخصية أجـدر بهـا (هسـبريس، ٢٠١٣).

وقالـت «الجائـزة بالنسـبة لي أكـبر مـن أيـة جائـزة أخـرى، ويكفينـي منهـا أنهـا **جائـزة «القـدس»**، لذلـك فأنـا أضعهـا تاجـا عـلى رأسي امتنانًـا واعترافًـا،.. نحـن كطائـر الفينيـق نقـوم مـن الرمـاد.. ليـس هنـاك مـا هـو أهـم وأغـلى مـن القـدس.. لـم أكـن لأسـتلم أيـة جائـزة تكريـم، إلاّ أن هـذه الجائـزة هـي جائـزة القـدس، ولهـذا قبلتهـا وأنـا أهديهـا بـدوري لوطنـي المغـرب، وماديًّـا أقدمهـا لصنـدوق بيـت المقـدس الـذي أتمنـى عـلى جميـع الـدول والبلـدان أن تخصـص صندوقًـا مماثـلًا لدعـم القـدس، وأتمنـى عـلى الوزيـر الشـاب والمثقـف أن يكـون المحـرك والداعـي لـه هنـا في مسـقط (فتـح، ٢٠١٣).

تلقـت التهنئـة مـن جلالـة الملـك محمـد السـادس وقـال في كتـاب تهنئتـه لهـا:» إننـا لنعـبر لـك عـن اعتزازنـا البالـغ بهـذا التكريـم المسـتحق، الـذي يعـد تتويجًـا لإبداعاتـك الأدبيـة بمختلـف أجناسـها، خاصـة الروائيـة منهـا والقصصيـة، التـي أثـرت السـاحة الثقافيـة والفكريـة المغربيـة والعربيـة، كمـا يعـد أيضـا اعترافًـا بنضالـك المسـتمر مـن أجـل نـصرة القضيـة الفلسـطينية، وعـلى رأسـها قضيـة القـدس الشريـف، التـي توجـد في صلـب انشـغالات المغـرب الدائمـة، ونوليهـا، بصفتنـا رئيسـا للجنـة القـدس الشريـف، أهميـة خاصـة، باعتبارهـا قضيـة الأمـة الإسـلامية الأولى» (عبـد المنـير، ٢٠١٦).

وفي حـوار لهـا مـع مجلـة التجديـد تتحـدث خناتـة عـن فوزهـا بجائـزة القـدس فقالـت: « هـي تتويـج لمسـاري الإبداعـي والنضـالي والإنسـاني الـذي يمتـد لأكثـر مـن

(٤٠) عام..فالجائـزة بالنسـبة لي أكـبر مـن أيـة جائـزة، أخـرى ويكفينـي أنهـا جائـزة القـدس لذلـك فأنـا أضعهـا تاجًـا عـلى رأسي امتنانًـا وعرفانًـا.

وأمـــا تقديـم **روايـة «النـار والاختيـار»** لمنظمـة التحريـر الفلسـطينية والتـبرع بممتلكاتهـا لمؤسسـة عـلال الفـاسي والخزانـة العامـة في الربـاط، فتقـول: «مـن إيماني بـأن الفكـر يجـب أن يسـير في تكامـل مـع العمـل.. الممارسـة الفعليـة مـن أسرتـي، قـد فتحـت عينـي عـلى أم تبرعـت هـي وأخوتهـا بأرضهـم كلهـا لجيـش التحريـر، أمـا والـدي فـكان يعـدّ في فـاس «أبًـا للمسـاكين» وقـد ورثنـا منهمـا هـذا، أنـا وأخوتـي رحمهـم اللـه الذيـن كانـوا يفوقوننـي في هـذا الميـدان (عـادل، ٢٠١٧).

لماذا القدس؟

يـوم أن زارت فلسـطين مـع والدهـا وهـي بعمـر أربعـة عـشر عامـا، وهناك شـاهدت كيـف أن الإنسـان الفلسـطيني مشـتت في خيـام ممزقـة تعبـث بهـا الرمـال، يعانـي من سـياط الجـلاد، وقـرأت بروتوكـولات حكمـاء صهيـون، أدركـت عمـق المأسـاة، وريـت خطـر الصهيونيـة ليـس عـلى العـرب فقـط، بـل عـلى البشريـة جمعـاء، ولـذا عـلى كل إنسـان أن يشـارك في تكويـن معقـل الدفـاع أمـام هـذه القـوة الغاشـمة، قضيـة فلسـطين.. كأن الكـوارث جميعـا قـد اجتمعـت في تلـك المنطقـة الصغـيرة، فهـي مـن وجهـة نظرهـا «**هيروشـيما الثانيـة**».

خناتـة بنونـة تجـذرت فيهـا قضيـة فلسـطين، فهـي تـؤدي واجبهـا حتـى في عالـم القصـة، وتتحمـل آثـار الهزيمـة وتعيـش مـع المشرديـن والمـشردات، وتدعـو العـرب إلى أن يقومـوا بمسـؤوليتهم نحـو إخوانهـم ودينهـم، وتنتقدهـم أنهـم يتنعمـون ويرقصون ويمرحـون، بينمـا تدمـع عيـون إخوانهـم وتدمـي قلوبهـم في فلسـطين، كأن شـيئا لـم يقـع، وكأن الصهيونيـين ليسـوا في بيـت المقـدس.. تقـول: إن الأعـداء قـد تكاتفـوا علينـا، وإن التفرقـة وعـدم التوحـد والإعـراض عـن التخطيـط والاسـتعداد بـين صفـوف العـرب، إنهـا لمؤامـرة حقـا.

تقول عن أمريكا «وقد شاركت في مؤتمرات عربية كبيرة أقيمت في مختلف الدول العالم، كالصين، والاتحاد السوفيتي، لكني لم أشارك في أي مؤتمر أقيم في أمريكا، فقد رفضت زيارتها؛ لن أزور «إسرائيل الكبرى» التي تحكمها إسرائيل الصغرى»، وعندما وجدت فرصة مع صحافي أمريكي عبرت عن نقدها تجاه سياسة أمة أمريكا نحو العرب»، قالت له: «عليكم أن تتحرروا من الصورة المشوهة التي قدمتها لكم الصهيونية عنا، إقرأوا تاريخنا وافتحوا حوارا حقيقيًّا معنا، وليست هذه الحروب الصليبية التي لا تنتهي، فكلما أردنا أن نقف على أقدامنا تشعلون الحروب خوفًا منا، ونحن نعادي من يعادينا ويريد أن يبني حياته على موتنا، إنه حق الدفاع عن النفس.. وليعلم هذا الآخر أنه بكل ما يملك من أسلحة فتاكة لن يقتل في داخلنا حب البقاء» (عبد المنير، ٢٠١٦).

ليسقط الصمت

في هذه المجموعة القصصية (٢١) قصة قصيرة تتحدث فيها عن فتاة فلسطينية عاصرت النكبة الفلسطينية وذاقت ويلاتها، ومعاناتها؛ الأسلاك، والممر الغائر الأخاديد، وجراحاتك، كل ذلك يهدم تراث الإنسانية.. وتنادي هذه الفتاة «أين انتم.. أين العرب.. وحيدون بلا وطن ولا بيت ولا جنسية.. في **قصة «بداية الطريق»** تتحدث عن المقاومة والطريق إلى التحرير..

إدريس.. تذكر يا بني أرض أبائك التي سلبها (الرومي) منا.. كن رجلًا واستردها..

وفي **رواية «الشيخ والأرض»**، و**قصة «الصوت الآخر»**.. تعيش خناتة في القدس قرب المسجد الأقصى وقبة الصخرة.. مع ضياع الوهج اللامع في القبة المطلة على الأبعاد.. من خلف الجدار.. كان الصوت الآخر للمكبلين يهدر.

ربما ترفع من حولي جدارًا

وجدارًا وجدارًا..

يا عدو الشمس.. لكن لن أساوم

وإلى آخر نبض في عروقي..

سأقاوم...

وهي من قصيدة الشاعر الفلسطيني سميح القاسم، من أشهر الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة، توفي عام ٢٠١٤م، ومطلع قصيدته:

ربما افقد- ما شئت- معاشي

ربما أعرض للبيع ثيابي وفراشي

ربما أعمل حجارًا وعتالا وكناس شوارع

ربما أخمد عريانا وجائع

ياعدو الشمس، لكن لن أساوم

وإلى أخر نبض في عروقي .....سأقاوم (أبو جحجوح، ٢٠٠٢، ص: ١-٣٠).

هذه النداءات والإيحاءات التي أطلقتها الكاتبة.. هذا الحديث عن فاطمة برناوي؛ وهي مقاتلة فلسطينية من أصل أفريقي، شاركت في المقاومة الفلسطينية في منتصف عقد ١٩٦٠، وهي فترة مهمة من حياة القضية الفلسطينية، وتعرف فاطمة بأنها أول امرأة فلسطينية نظّمت عملية شبه عسكرية في إسرائيل - محاولة تفجير سينما في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٧م (ياسين وآخرون، ٢٠١٢، ص: ١٧٧- ١٧٨). وهي أول أسيرة فلسطينية في سجون الاحتلال.. كانت بداية الطريق إلى انطلاق الثورة الفلسطينية.. والتي تزامنت معها (بنونة، ١٩٦٧).

مجموعة النار والاختيار

تهدي نتاجها الأدبي إلى الغد.. إلى فتح.. وإليك.. ولم تكن بعيدة حين

أهدت هذا العمل إلى أول حركة وطنية فلسطينية، تزامنت مع الخروج من رحم النكبة ومن الذات المنكسرة.. هزيمة ١٩٦٧م.. لقد كانت المأساة من الشدة بحيث لم تفكر الكاتبة أن تخلق بطلة غير موجودة.. هي الجديرة أن تتحمل آثار الهزيمة.. أن تعيش مع المشردين والمشردات.. مع الذين يلاقون عناء الاحتلال الصهيوني..

أما عناصر النصر، فهي: السلاح، والتعبئة، والتضامن، والدم.. فالموت شرف من أجل غسل العار.. إنه نوع من أدب المقاومة.. لقد استطاعت خناتة أن تسجل كل ما يشعر به المغربي من تضامن مع أخيه العربي.. مؤكدين أن مأساة العرب في فلسطين هي مأساة كل عربي في الشرق أو الغرب، ومسؤولية الإنقاذ على الجميع.

في أول قصة في هذه المجموعة

نداء الدم حيث تفتح البطلة المذياع، تنادي الكاتبة فيالق جيش التحرير.. فلم يعد العالم يحمي الشرذمة، لأنه لا يمكن أن يؤبد لعنته.. وإلى الأمام يا أبناء هذه الأرض التي هي لنا.

كل كتاباتها تسوق القارئ إلى عالم الأمل والتفاؤل، حتى في اختيار أسماء الأشخاص، تهتم بالمستقبل المرجو؛ أي تحرير فلسطين وسعادة المواطنين وعودة المهاجرين. وإن **قصتها «قتلى ولا موت»** خير دليل على ذلك، بطلتها لاجئة وزوجها «صبح»، واسم ولدها «سعد»؛ رمز للأمل المنتظر وللنصر النهائي، تسير أشخاصها من مخيم إلى آخر بهذه الأسماء نحو المستقبل الزاهر (بنونة، ١٩٦٩).

الكاتبة والمبدعة المغربية التي أدركت منذ وقت مبكر جدًا أن فلسطين هي قضية العرب المركزية، فانصهرت فيها وأبدعت **روايتها «النار والاختيار»**، **كأول رواية نسائية في المغرب** صنفت في عداد الأدب المقاوم، وما زالت لا تبخل في تكريس

حياتهـا للقـدس وفلسـطين، وقـد باعـت حُـــليّها وبيتهـا وعقاراتهـا لتقيـم مدرسـة باسـمها في فلسـطين ولتدعـم صنـدوق القـدس، تجـد لـدى الفلسـطينيين المحبـة والتقديـر والاحـترام والتكريـم، وتحمـل وسـامًا رفيعًـا قلدهـا إيـاه الزعيـم الراحـل يـاسر عرفـات (https://www.arrabita.ma/blog/).

البيبلوغرافيا

الكتب

أباظة، نزار والمالح، محمد رياض. (١٩٩٩). **إتمام الأعلام**. بيروت: دار صادر.

بلقزيـز، عبـد الإلـه، وآخـرون. (١٩٩٢). **الحركـة الوطنيـة المغربيـة والمسـألة القوميـة** (١٩٤٧-١٩٨٦). ط١. بـيروت: مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة. .

بنونة، ختاتة. (1969). **النار والاختيار**. الرباط: مطبعة الرسالة.

بنونة، ختاتة. (1967). **ليسقط الصمت**. الدار البيضاء: دار الكتاب.

التل، عبد الله. (1991). **كارثة فلسطين**، ط2. كفر قرع-فلسطين: دار الهـدى.

الدباغ، مصطفى مراد. (1991). **بلادنا فلسطين**. 11ج. كفر قرع-فلسطين: دار الهـدى.

المنصـوري، عبـد الإلـه. (٢٠١٥). شـهداء المغـرب في فلسـطين. **مجلـة الملتقـى** «المغـرب وفلسـطين». العـدد (٣٣). ص: ١٧٤-١٧٧.

ياسـين، عبـد القـادر وآخـرون. (2012). **نسـاء فلسـطين في معـترك الحيـاة. القاهـرة**: مكتبـة الـشروق الدوليـة.

بـن يحيـى، فلسـطين. (2017). **ذاكـرة مغربيـة: شـهادات (تحليـل بيـو – بيبليوغـرافي)**. رام اللـه: النـدوة الفكريـة الثانيـة. د. ن.

رسائل جامعية

أبـو جحجـوح، خـضر محمـد. (2002). «شـعر سـميح القاسـم بـين الموقـف الأيديولوجـي والشـتكيل الجمـالي». رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة. **جامعـة عـين شـمس**.

الصحف

- **صحيفة الشرق الأوسط** ، بتاريخ ٢ /٤/ ٢٠٠٣م،العدد رقم (٨٨٩١).
- **صحيفة الحياة الجديدة** –فلسطين، بتاريخ ١٤/ ٨/ ٢٠١٣ العدد رقم (٦٣٨٦) .

المواقع الالكترونية

رشيد أمديون» (مدونة). (١٦/٠٢/٢٠١٤). يُنظر الرابط الآتي (شوهد في ١٥/٠١/٢٠٢٤):
https://hams-rroh.blogspot.com/2014/02/blog-post_16.html

عادل، سماح. (١٠/٩/٢٠١٧). خناتة بنونة".. حينما تُغرق الروائية في مغربيتها وتؤمن بقضايا عالمها العربي والإسلامي. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في ٢٠/٠٢/٢٠٢٥):
https://kitabat.com/cultural/خناتة-بنونة-روائية-مغربية-رائدة-أنتص/

عبد المنير. ب. (أكتوبر-ديسمبر ٢٠١٦). خناثة بنونة: حياة مكرسة لفلسطين. **مجلة أقلام الهند الالكترونية**. العدد (3). https://www.aqlamalhind.com/?p=407

حمزاوي، الطاهر. (١٤/٠٧/٢٠١٤ أ). «بنونة: أول قصة قومية كتبتها وأنا بفلسطين عن صبية تعاني من قمع الاحتلال». **الموقع الالكتروني «مَغْرِس»**. وفق الرابط الآتي (شوهد في ٠١/٠٣/٢٠٢٤):
https://www.maghress.com/almassae/211643

حمزاوي، الطاهر. (١٣/٠٧/٢٠١٤ ب). « بنونة: قمنا برحلة طويلة إلى القدس قبل حرب ١٩٦٧ بشهور، وأقام والدي عرسا ضخما بمكة المكرمة حضره علال الفاسي». **الموقع الالكتروني «مَغْرِس»**. وفق الرابط الآتي (شوهد في ٠١/٠٣/٢٠٢٤): https://www.maghress.com/almassae/211588

حمزاوي، الطاهر. (٠٧/٠٧/٢٠١٤ ج). «خناتة بنونة.. ذاكرة حياة : بنونة: وقعت وثيقة المطالبة بالاستقلال بدار الحاج مكوار وكانت ملتقى لكل القيادات سرا وجهرا». **الموقع الالكتروني «مَغْرِس»**. وفق الرابط الآتي (شوهد في ٠١/٠٣/٢٠٢٤): https://www.maghress.com/almassae/211240

مَغْرِس. (٢/١١/٢١٣). "جائزة القدس» للكاتبة المغربية خناتة بنونة.. وكتاب جديد عنها في مسقط. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في ٢٧/٠٣/٢٠٢٤): https://www.maghress.com/magharib/113638

فتح – مفوضية العلاقات الوطنية. **(٢٠١٣/١١/٢٤)**. اتحاد الأدباء والكتاب العرب يمنح جائزة القدس للكاتبة المغربية خناتة بنونة. **ينظر الموقع الالكتروني الآتي (شوهد في ٢٠٢٤/٠٣/٠٥).**

https://www.fatehwatan.ps/page-68516.html

هسبريس. (٢٠١٣/٠٦/٠٥). خناثة بنونة تفوز بـ «جائزة القدس». موقع هسبريس الالكتروني **يُنظر الرابط الآتي (شوهد في ٢٠٢٤/٠٣/٧):**

https://www.hespress.com/**خناثة-بنونة-تفوز-بـجائزة-القدس**-129291.html

وكالـة وطـن للأنبـاء. (٢٠١٧/١٢/٢٧). ٧٠٦ مثقـف عربـي يوقعـون عـلى عريضـة «القـدس عاصمـة فلسـطين الأبديـة». يُنظـر الرابـط الآتـي (شـوهد في ٢٠٢٤/٠٣/٢٧):

https://www.wattan.net/ar/news/231898.html

ملحق (١)

بنونة: قمنا برحلة طويلة إلى القدس قبل حرب ١٩٦٧ بشهور، وأقام والدي عرسا ضخما بمكة المكرمة حضره علال الفاسي (حمزاوي، ٢٠١٤ ب)

حياتها من حياة المغرب المعاصر تفاعلت معه وفعلت فيه بكل الصدق والإخلاص ككاتبة وكمناضلة على طريقتها الخاصة وهي السليلة لأسرة عريقة في النضال والوطنية ومعروفة بالإيثار يقف على رأسها والدها (سيد الآباء) كما تسميه، ووالدتها المرأة الوحيدة في المغرب التي تنازلت عن أراضيها لجيش التحرير.

المرأة الحديدية التي قال عنها خالها (سيد العربي الإدريسي) المقاوم الشهير (لم تغلبني فرنسا وغلبتني هذه القردة)، حينما رفضت بشراسة أن تتزوج وهي بعد طفلة لأحد الشرفاء كما تدعو إلى ذلك الطقوس.

وهي التي قال لها والدها الروحي كما تسميه علال الفاسي: «لقد سبقت زمانك بمائة سنة»، وهي التي قالت له: «لو كان الجدار هو المستحيل نفسه لظللت أضرب برأسي عليه حتى أموت أو أفتح فيه كوة تصنع منها الأجيال الآتية بابا للمستقبل، لأكون جديرة بأبوتك»، فعانقها وهو يقول: «أومن بك، أومن بك» ودمعت عيناه، حماها من الزواج المبكر، وراهن عليها ولم تخيب فراسته. قال عنها :»هي ابنتي، وابنة المغرب وقرة عيني»، أما عبد الكريم غلاب فكان يقول: «حينما تحضر خناثة نضع أيدينا على قلوبنا في انتظار أية قنبلة ستفجر» وهي التي قال عنها الراحل (عبد الجبار السحيمي) علمت الأجيال الشجاعة وكثير كثير.

سجلت لوحدها ملحمة في الكتابة والمواقف والإيثار ورفضت الإغراء وعبرت عن آرائها بكل صدق وأخلصت لاختياراتها فكانت دائما هي الضمير المتحرك الذي لا

ينام، وهي التي قالت لأحد قادة الاتحاد الاشتراكي حينما سألها أتمنى أن تكون لنا شجاعتك:» لقد أطلقتم أحزمة بطونكم وبلعتم ألسنتكم، أما أنا فأحكمت الحزام على بطني، وأطلقت الحرية للساني».

في هذه الحلقات تروي صاحبة «النار والاختيار»، و«الغد والغضب» القصة الكاملة لقراء «المساء» بتفاصيل التفاصيل كما لم تسمعوها من قبل.

وما هي الجوانب الأخرى التي تذكرين عن هذا الأب الذي كان له التأثير الكبير في تكوين شخصيتك؟

لقد كان هذا الأب رحمه الله أيضا أب الأيتام والمرضى والعجزة والمحتاجين والأرامل، وكان يخصص كل يوم خميس من كل أسبوع لأسياده، كان يقول أسيادي ينتظرونني ولابد أن أذهب إليهم، ومن المستحيل ألا أكون في استقبالهم.

ومن هم أسياده؟

هم الفقراء، هم الأرامل، هم المرضى، هم العجزة، وأذكر أنه حتى بعد أن ارتحلنا إلى مدينة الدار البيضاء، كان لابد أن يسافر يوم الأربعاء إلى فاس ليكون في استقبال هؤلاء الناس يوم الخميس، بل أكثر من ذلك فقد كان هذا الابن المدلل الوحيد عند والديه يقبل أيدي الفقراء والشرفاء ويقول لهم :»عندي ربا أعبده في السماء وواحدة في الأرض» يقصد أنا، فادعوا لها فلبرما دعاؤكم مستجاب عند الله أكثر مني. وحين مات كانوا يبكون على هذه البنت التي تركها هذا الوالد الذي كان يفضلها على نفسه».

وأذكر أني كنت أبيع المجوهرات الثمينة التي ورثوها عن أجدادهم من أجل الاشتغال في الميدان الثقافي فكيف بالله عليك أن يقبل أب أو أم ذلك. لكنهم هم كانوا يقبلون بذلك، بل حتى مشترياته أيضا كنت أبيعها

أحيانـا ولا يعـترض،

وأذكـر أنـه كان ينـام باكـرا ليسـتيقظ في جـوف الليـل، ويقـوم الليـل وحـين يصـلي صـلاة الفجـر، كان يغـادر البيـت.

لماذا؟

ليذهـب عنـد الأيتـام، ليشـتري لهـم الفطـور، وكان يقطـع مـن أجـل ذلـك مسـافة طويلـة مشـيا عـلى الأقـدام ليصـل إليهـم كـي يفطـروا ويذهبـوا إلى المدرسـة قبـل الثامنـة صباحـا، وكان يعـود بعـد ذلـك إلى المنـزل لينـام ثـم يقـوم ليصـلي الضحـى.

وماذا أيضا؟

ومـن جملـة أفضالـه أنـه أخذنـا جميعـا في رحلـة طويلـة لأداء فريضـة الحـج حينئـذ، وليقيـم عـرس أخـي الأصغـر وهـو الحـاج عبـد الرحمـان بمكة المكرمة.

فقـد ارتحلـت الأسرة كلهـا مـن أجـل الحضـور إلى هـذه المناسـبة، وكذلـك جـل جيراننـا في الحـي، وحضرهـا سـيدي عـلال الفـاسي، وأيضـا مصطفـى الصبـاغ رحمـة اللـه عليهم جميعـا والـذي كان يشـتغل في جريـدة (العَـــــلم)، والـذي كانـت لـه قصـة مـع الأمـيرة نزهـة، حيـث لـم يـرد صاحـب الجلالـة الملـك الحسـن الثانـي رحمـة اللـه أن يوافـق عـلى زواجهـا منـه.

وقـد كتـب مصطفى الصبـاغ موضوعـا في جريـدة (العَـــــلم) بهذه المناسـبة «أي العرس».

وكم كانت مدة الرحلة؟

كانـت مدتهـا ثلاثـة أشـهر وفيهـا خللنـا وقدسـنا، أي دخلنـا مدينـة الخليل والقـدس، ومـا أسـتحضره أنـه حـين وصلنـا إلى مـصر كانـت المناسـبة تقديـم

أغنيـة لأم كلثـوم في الشـهر، ولكننـا لـم نجـد تذاكـر للدخـول إلى الحفلـة ولـو حتـى في السـوق السـوداء. وجدنـا فقـط تذكـرة واحـدة فحسـب، وكانـت العـروس معنـا، هـي وأمهـا وأبوهـا، فوقـع خـلاف، حـول مـن سـيأخذ هـذه التذكـرة للدخـول إلى سـهرة أم كلثـوم، وأخذتهـا أنـا طبعـا، فحصـل بعـض الانزعـاج البسـيط بالنسـبة للعـروس ولأبيهـا وأمهـا، وأتذكـر أن أبـي قامـت قومتـه وثـار وهـدد بـأن يعـود إلى المغـرب، لمـاذا يعترضـون عـلى ذلـك حتـى بينهـم وبـين أنفسـهم. لأن منطـق الحـال هـو أن آخـذ أنـا التذكـرة ودون أي اعـتراض أو مناقشـة. وكذلـك كان ذهبـت إلى السـهرة وظـل أخـي وعروسـه في البـاب ينتظـران حتـى تنتهـي السـهرة ليعـودا بـي إلى الفنـدق.

وفي الفنـدق تعرفـت عـلى مهنـدس مـصري كان يشـتغل في قناة السـويس، كان قـد جـاء إلى القاهـرة ولا أتذكـر سـوى اسـمه الشـخصي (سـيد) وأذكـر أن إخوتـي قـد بـدؤوا يتفتحـون عـلى مـن سـأكون، فكانـوا حينمـا يجالسـون مثقفـا مـا يسـمحون لي بالجلـوس معهـم لأدعـم وأطعـم النقـاش. وممـا أذكـره أن (سـيد) كان مهندسـا بقناة السـويس وكان ينتظـر أن نعـود عـبر السـفينة مـن خـلال المـرور بالقنـاة، وذلـك مـن أجـل إكرامنـا واسـتضافتنا.

لذلـك كان يصعـد لأي سـفينة قادمـة من جدة ومعـه بعـض الجنـود كلمـا مـرت أي سـفينة مـن هنـاك، وهو يسـأل عـن أسرة بنونـة بغـرض أن يجدنـا، ولكن نحـن كنـا قـد عدنـا مبـاشرة عبر طرابلـس ليبيـا، وقـد أثـار هـذا سـؤال الوفـود المغربيـة وخوفهـا علينـا، وقـد حكـى لي ذلـك في مـا بعـد المحامـي بنمخلـوف.

هـذه فقـط قصـة مـن القصـص التـي عشـتها، مـع العلـم أنـه في كل قطر زرته كانـت هنـاك قصة.

وفي فلسطين، ما هي المدن والمواقع التي زرتموها هناك؟

ورجوعـا إلى القدس وبالضبـط في (حـي المغاربـة) رحـب بنـا المغاربـة بشـكل كبـير، وصلينـا في المـكان الـذي ولـد فيـه سـيدنا عيـسى عليـه السـلام، والمـكان

الــذي كان فيــه ســيدنا زكريــا، وكذلــك رأينــا القبلــة الأولى والقبلــة الثانيــة، وأطللنــا مــن نافــذة عــلى جبــل التكبــير الــذي صعــد عليــه ســيدنا عمــر حينمــا وصــل إلى القــدس، وكــبر هنــاك حينمــا تســلم مفاتيــح القدس مــن الراهــب المســيحي آنــذاك.

والتقيــت هنــاك بعيــسى وصبــح وكتبــت عنهمــا، فــإذا رجعــت إلى كتاباتــي تجدهمــا بهذيــن الاســمين، صبــح شــاب عمــره مــا بــين ٢١و٢٢ســنة، كان يرافقنــي كثــيرا وقــد ذهبنــا معــا إلى جبــل التكبــير وجلســنا هنــاك لنحكــي. وحكــى لي الكثــير ممــا يمــزق القلــب بســبب مــا يعانيــه الإنســان المقــدسي.

وأذكــر القدس كانــت مقســمة بجــدار للأســف..أما عيــسى فهــو شــخص كانــت تتجســد فيــه الرجولــة والبطولــة، والمقاومــة العربيــة، وهــو الــذي تدخــل كــي نحصــل عــلى رخصــة للدخــول إلى بيــت صفافــا. وقــد كان هــذا قبــل حــرب ١٩٦٧ تقريبــا بشــهور... أمــا بعــد ١٩٦٧ فقــد اســتولت عليهــا إسرائيــل.

ملحق (٢)

بنونة: أول قصة قومية كتبتها وأنا بفلسطين عن صبية تعاني من قمع الاحتلال قالت بأن وفدهم كان هو الثاني الذي يسمح له بالدخول إلى بيت«صفافا» بعد وفد الأمير مولاي عبد الله (حمزاوي، ٢٠١٤ أ)

حياتها من حياة المغرب المعاصر تفاعلت معه وفعلت فيه بكل الصدق والإخلاص ككاتبة وكمناضلة على طريقتها الخاصة وهي السليلة لأسرة عريقة في النضال والوطنية ومعروفة بالإيثار يقف على رأسها والدها «سيد الآباء» كما تسميه، ووالدتها المرأة الوحيدة في المغرب التي تنازلت عن أراضيها لجيش التحرير.

المرأة الحديدية التي قال عنها خالها سيد العربي الإدريسي المقاوم الشهير» لم تغلبني فرنسا وغلبتني هذه القردة»، حينما رفضت بشراسة أن تتزوج وهي بعد طفلة لأحد الشرفاء كما تدعو إلى ذلك الطقوس، وهي التي قال لها والدها الروحي كما تسميه علال الفاسي: «لقد سبقت زمانك بمائة سنة»، وهي التي قالت له:» لو كان الجدار هو المستحيل نفسه لظللت أضرب برأسي عليه حتى أموت أو أفتح فيه كوة تصنع منها الأجيال الآتية بابا للمستقبل، لأكون جديرة بأبوتك» ، فعانقها وهو يقول: «أومن بك، أومن بك» ودمعت عيناه.

حماها من الزواج المبكر وراهن عليها ولم تخيب فراسته قال عنها :» هي ابنتي، وابنة المغرب وقرة عيني».

أما عبد الكريم غلاب فكان يقول: «حينما تحضر خناثة نضع أيدينا على قلوبنا في انتظار أية قنبلة ستفجر» وهي التي قال عنها

الراحل عبد الجبار السحيمي علمت الأجيال الشجاعة وكثير كثير.

سجلت لوحدها ملحمة في الكتابة والمواقف والإيثار ورفضت الإغراء وعبرت عن آرائها بكل صدق وأخلصت لاختياراتها فكانت دائما هي الضمير المتحرك الذي لا ينام ، وهي التي قالت لأحد قادة الاتحاد الاشتراكي حينما سألها أتمنى أن تكون لنا شجاعتك:» لقد أطلقتم أحزمة بطونكم وبلعتم ألسنتكم، أما أنا فأحكمت الحزام على بطني، وأطلقت الحرية للساني».

في هذه الحلقات تروي صاحبة «النار والاختيار»، و«الغد والغضب» القصة الكاملة لقراء «المساء» بتفاصيل التفاصيل كما لم تسمعوها من قبل.

بعد ذلك توجهنا إلى مدينة الخليل وزرنا قبر سيدنا إبراهيم وزوجته سارة وسيدنا يعقوب وإسحاق، وبهذه المؤسسة القبرية إن جاز التعبير توجد بها عين مباركة شربنا منها جميعا. ثم وصلنا إلى معان، الذي صادف وجودنا بها الفيضان، وقد رأينا هناك الخيام المزقة تحت هجير الشمس وعواصف رمال الصحراء.

وأذكر أيضا أنه في معان جمعوا الناس الذين فقدوا بيوتهم في المساجد. وكانت هناك امرأة كبيرة في السن تلتحف الأسود وتدخن، فأثارنا هذا المنظر وتعجبنا مما تقوم به داخل المسجد. ولذلك قلنا إن ما حدث لهم هو عقاب ولعنات حلت بهم لمثل هذه التصرفات. فقد «نزلت عليهم لعنة اليهود»، هكذا قالت الأسرة.

وأذكر أنه في «بيت صفافا» سابقة الذكر وقعت لنا قصة كنت أنا المسئولة عنها، فقد كان لا يسمح بالدخول إليها لأي وفد إطلاقا،

إلا برخصة عسكرية، وذلك على أساس أن يلتزم الوفد بعدم الاحتكاك بالجيش الإسرائيلي. وقد كانت «بيت صفافا» عبارة عن مدينة صغيرة مقسمة بالأسلاك الشائكة، ومازالت صورتها حاضرة أمامي وإلى الآن. إذ كان السكان الفلسطينيون من هنا ومن هناك، فجزء منهم تحت الاحتلال الإسرائيلي ووراء أولئك السكان، كانت هناك مجموعة من العمارات مبنية على مسافة طويلة وكأنها حية ملتوية بنتها ألمانيا لفائدة إسرائيل، وقيل لنا عنها إنها بنايات مدنية وما هي في ذلك من شيء.

ذهبنا جميعا، ولما دخلنا استقبلنا بعض الأفراد من الجيش وأعطونا مرة أخرى توجيهات وأوامر، وأكدوا لنا أن الحديث أو التحرش ممنوع. لكن حينما دخلنا للدرب الذي يسكنه الفلسطينيون، شاهدت صبية سنها ما بين ١١ أو١٢ سنة تقف على الجهة الأخرى وهي تنظر إلى ما وراء الأسلاك الشائكة في الجهة المقابلة، وفي يديها دملجان من الذهب، وقد كتبت عنها قصة موجودة في مجموعتي «فليسقط الصمت»، حيث إنها ستكون لها علاقة مع أحد أبناء جلدتها وتشترط عليه شرطا من أجل أن يأخذ يدها وهي أن يكون فدائيا وهذا هو صداقها، وقد باعت من أجل ذلك كل ما تملك لشراء السلاح من أجل المقاومة.

وهذا كنت قد كتبته حينئذ، فكيف يقولون عني الفاسية البورجوازية الرجعية.. هؤلاء الذين قلت عنهم ذات يوم إنهم فقط «ثوار البارات» « وأبطال من الورق المقوى»، وقد كتبت عنهم كتابا تحت عنوان:» الصورة والصوت».

إن ما كتب عني سابقا فيه ظلم كثير، والآن هناك عدد من الإخوة اعتذروا وقدموا تبريرا لمواقفهم من كتاباتي على أساس اللازمة التي كانوا يسطرونها بشكل الذم والقدح، وهي الفاسية البورجوازية

الرجعيـة الاسـتقلالية.. فهـم لا يقبلـون امـرأة كاتبـة لهـا شـخصيتها الخاصة واحترامهـا لذاتهـا.

كانـت هـذه الصـورة مكرسـة عـن المـرأة الكاتبـة، في المـشرق، ثـم ارتحلت للأسـف إلى المغرب.

إن أول مجموعـة قصصيـة ظهـرت لي هـي» ليسـقط الصمـت» أول قصـة فيهـا هـي قصـة قوميـة، وثلثـان مـن نصوصهـا تتعلـق بقضايـا القوميـة والقضايـا المغربيـة، في الوقـت الـذي كانـت فيـه رفيقـة الطبيعـة التـي تجايلنـي لا تكتـب إلا عـن مغامراتهـا الأنثويـة وغـير ذلك-مـع الاعتـذار إليهـا- لأن سـياق الحديـث جـاء بهـذا. مـع أنهـا أخـيرا كانـت صديقـة لي، ذكرهـا اللـه بخـير.

هل من صور وأحداث مازالت عالقة بذهنك في رحلتكم إلى فلسطين؟

ممـا أذكـر أن امـرأة كانـت تسـكن بالجهـة العربيـة وابنتهـا في الجهة المحتلة وتفصـل بينهمـا الأسـلاك الشـائكة فحسـب. وكانـت ابنتهـا حامـلا في لحظـة المخـاض. وقـد ظلـت ترخـي أذنيهـا لتسـمع صراخ ابنتهـا لتعـرف مـا إذ مازالـت حيـة. وحـين جـاء الليـل صعـدت إلى سـطح بيتهـا لتقـصي الخـبر عـبر الإنصـات لـصراخ ابنتهـا؟ فاصطادهـا العسـكر الإسرائيلي وقتلهـا. وانطلاقـا مـن الحـدث بـت أشـحن، وبـدأ صـبري ينفـذ.

ثـم وبعـد أن سرنـا مسـافة في الدرب الفلسـطيني غير المزفـت.. إذا بامـرأة تنـشر الغسـيل، تشـد انتباهـي، كانـت هـذه المـرأة المسـكينة وهـي تنـشر الغسـيل وتشـده ب«القباضـات» وهـي تراقـب الحـركات تشـدني وهـي تطـل مـا بـين الفراغـات الموجـودة مابـين الملابـس المنشـورة. وهكـذا فقـد أوحـت لي بقصة«تبـدأ هكـذا:».. المناديـل والأسـلاك..» وقـد ضمتهـا مجموعتـي

القصصية«فليسقط الصمت». وفي ظل هذا المشهد المثير للانتباه ناديت عليها صائحة وأنا أشد على الأسلاك أريد تحطيمها إلى أن أغمي علي. ولم استفيق إلا في ضريح سيدنا موسى، حيث كان يوجد به بعض الجنود الأردنيين. وحينما استفقت من غيبوبتي وجدت نفسي في حجر والدي وإخوتي حولي فاتحين القرآن الكريم ومعهم اثنان أو ثلاثة من الجنود يقرؤون معهم.

أما أمي رحمها الله فكانت واقفة وهي تضرب على قبر سيدنا موسى، وهي الشريفة/ «المهلهلة»: دعيتك الله يا نبي اليهود، دعيتك الله أنت واليهود ديالك جيتك ببنتي وما شي نمشي بلا بنت، قتلتوها لي. الله يعطيكم قتيله أنتينه والناس ديالك». كانت في حالة هستيرية. ولما قالوا لها إنني أفقت من غيبوبتي فرحت فرحا عظيما. وأخذوا يصبون علي الماء. وبعد ذلك قالوا إنها كانت معجزة ألا يصطدم الجيشان: الأردني والإسرائيلي.

ومن ثم فقد ألحوا علينا أن نغادر المكان بل والقدس. وكذلك كان.

وما هي وسيلة النقل التي استعملتموها في رحلتكم هذه؟

سافرنا من مصر إلى لبنان بالباخرة، وسافرنا من لبنان إلى الأردن بالسيارة.

ثم فلسطين وبعد ذلك دخلنا إلى «معان» فـ«صحراء بطن الغول». وقد قطعناها في ثلاثة أيام.

بالسيارة؟

نعم بالسيارة؟

وكان معكم علال الفاسي؟

عـــلال الفـــاسي جـــاء إلى مكة بالطائـــرة. وكذلـــك الأعمـــام وزوجاتهـــم وأولادهـــم. فقـــد جـــاؤوا جميعـــا مـــن أجـــل أن يحـــضروا العـــرس ويحجـــون، وكـــذا الجـــيران مـــن مثـــل عائلـــة بوعيـــاد، الســـبتي